

الدولة والسياسة فى فكر الامام حسن البناء

(٢)

جابر رزق جابر

منطلقات .. ومفاهيم

الفكر السياسى عند الامام حسن البناء ليس فكرا نظريا تجريديا ولكنه فكر حركى قابل للتطبيق و الممارسة لأن الامام البناء صاحب فكرة ومنشئ جماعة ورائد الحركة الاسلامية التجديدية المعاصرة والتي كانت على مدى نصف القرن الأخير - ولا تزال - تمثل القوة السياسية الاسلامية الأصلية والحقيقية التي تفرض نفسها على واقع امتنا الاسلامية لا فى مصر وحدها بل فى كثير من اقطار العالم الاسلامى ، والتي لايمكن ان يتجاهلها واضعوا السياسات وراسمو الاستراتيجيات سواء على المستوى القطرى او المستوى العربى او المستوى الاسلامى والامام البناء لم يكتب ماكتب الا ليوضح الفكرة التي يدعو اليها ويبين معالم الطريق التي اعتقد اعتقادا جازما انها الموصلة الى تحقيق الاهداف والغايات التي يؤمن بها ، ويشرح المنهج الذى يريد من اعضاء الجماعة ان يلتزموه ، ويحدد المراحل والخطوات التي يرى ان تمر بها الجماعة حتى تستطيع ان تصل الى ماتريد . هذا من ناحية ومن ناحية اخرى

فان الامام البنا كان يواجه واقعا تعيشه الأمة الاسلامية ويريد تغييره واعادة تشكيله على اساس من قواعد وأصول الاسلام ، واقعا فكريا . . وواقعا سياسيا . . وواقعا اجتماعيا وهو فى هذا كله يشخص السداء ويصف الدواء ، بوصف المشكله ويقدم لها الحل الذى اعتقد اعتقادا جازما انه لاجل سواه . ونقطة البدء - التى لا بد منها - للتعرف على مكانة السياسة والدولة عند الامام حسن البنا هى أن نتعرف على « مفهومه للاسلام » ، والذى لم تخل رسالة من رسائله ولا خطاب من خطابه التى وجهها الى من يدعوهم دون ان يقدم لهم هذا المفهوم الذى وصل الى درجة ان يطلق عليه اسم « اسلام الاخوان المسلمين » ، فى أول رسالة من مجموعة رسائله وهى رسالة «دعوتنا» . . يقول الامام البنا :

- « اسمع يا أخى . . دعوتنا دعوة أجمع ماتوصف به انها «اسلامية» ، ولهذه الكلمة معنى واسع غير ذلك المعنى الضيق الذى يفهمه الناس ، فانا نعتقد ان الاسلام معنى شامل ينتظم شئون الحياة جميعا ويفتى فى كل شأن منها ويضع له نظاما محكما دقيقا ولا يقف مكتوفا امام الشكلات الحيوية والنظم التى لا بد منها لاصلاح الناس . فهم بعض الناس خطأ ان الاسلام مقصور على ضروب من العبادات او أوضاع من الروحانية وحصروا انفسهم وافهامهم فى هذه الدوائر الضيقة من دوائر الفهم المحصور ولكننا نفهم الاسلام على غير هذا الوجه فهما فسيحا واسعا ينتظم شئون الدنيا والآخرة » .

وفى المؤتمر الخامس للاخوان المسلمين الذى عقد بعد عشر

سنوات من تأسيس الجماعة عام ١٣٥٧ يقول الامام البنا تحت عنوان « اسلام الاخوان المسلمين »

- « اسمحو لى ايها السادة ان استخدم هذا التعبير (اسلام الاخوان المسلمين) ولست اعنى به ان للاخوان المسلمين اسلاما جديدا غير الاسلام الذى جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عن ربه وانما أعنى ان كثيرا من المسلمين فى كثير من العصور خلعوا على الاسلام نعوتا و أوصافا وحدودا ورسومًا من عند انفسهم واستخدموا مرونته وسعته استخداما ضارا مع أنها لم تكن الا للحكمة السامية فاختلّفوا فى معنى الاسلام اختلافًا عظيمًا وانطبعت للاسلام فى نفوس ابنائه صور عدة تقرب او تبعد او تنطبق على الاسلام الأول الذى مثله رسول الله صلى الله عليه وسلم خير تمثيل .

* فمن الناس من لا يرى الاسلام شيئًا غير حدود العبادة الظاهرة فان أداها او رأى من يؤديها اطمأن الى ذلك ورضى به وحسبه قد وصل الى لب الاسلام وذلك هو المعنى الشائع عند عامة المسلمين .

* ومن الناس من لا يرى الاسلام الا الخلق الفاضل والروحانية الفياضة والغذاء الفلسفى الشهى للعقل والروح والبعد بهما عن ادران المادة الطاغية الظالمة .

* ومنهم من يقف اسلامه عند حد الاعجاب بهذه المعانى الحيوية العمليه فى الاسلام فلا يتطلب النظر الى غيرها ولا يعجبه التفكير فى سواها .

★ ومنهم من يرى الاسلام نوعا من العقائد الموروثة والأعمال التقليدية التي لاغناء فيها ولا تقدم معها فهو متبرم بالاسلام وبكل مايتصل بالاسلام ونجد هذا المعنى واضحا فى نفوس كثيرين من الذين ثقفوا ثقافة اجنبية ولم تتح لهم فرص حسن الاتصال بالحقائق الاسلامية فهم لم يعرفوا عن الاسلام شيئا أصلا او عرفوه صورة مشوهة بمخالطة من لم يحسنوا تمثيله من المسلمين .

وتحت هذه الأقسام جميعا تندرج أقسام اخرى يختلف نظر كل منها الى الاسلام عن نظر الآخر قليلا او كثيرا وقليل من الناس من أدرك الاسلام صورة كاملة واضحة تنتظم هذه المعانى جميعا .

ثم يحدثنا الامام البنا عن فهمه هو للاسلام فيقول :
 « نحن نعتقد ان احكام الاسلام وتعاليمه شاملة تنظم شئون الناس فى الدنيا والآخرة ، وان الذين يظنون ان هذه التعاليم انما تتناول الناحية العبادية او الروحية دون غيرها من النواحي مخطئون فى هذا الظن . فالاسلام عقيدته وعبادة ووطن وجنسية ، ودين ودولة وروحانية وعمل ومصحف وسيف والقرآن الكريم ينطق بهذا كله ويعتبره من لب الاسلام ومن صميمه ويوصى بالاحسان فيه جميعه والى هذا تشير الآية الكريمة ، ، « وابتغ فيما اتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك » . « وانك تقرأ فى القرآن وفى الصلاة ان شئت قول الله تبارك وتعالى فى العقيدة والعبادة « وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء وقيموا

الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ، وتقرأ قوله تعالى
 فى الحكم والقضاء والسياسة « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك
 فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت
 ويسلموا تسليما ، » وتقرأ فى الدين والتجارة « يا أيها الذين امنوا
 اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب
 بالعدل ولاياب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذى
 عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فان كان الذى عليه
 الحق سفيها أو ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه
 بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين
 فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تفضل احدهما
 فتذكر احدهما الأخرى ولا يابى الشهداء اذا مادعوا ولا تسموا ان
 تكتبوه صغيرا او كبيرا الى أجله ذلكم اقسط عند الله وأقوم للشهادة
 وأدنى الا ترتابوا الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس
 عليكم جناح الا تكتبوها واشهدوا اذا تباعتم ولا يضار كاتب
 ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله
 بكل شئ عليم ، » وتقرأ فى الجهاد والقتال والغزو « واذا كنت فيهم
 فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا اسلحتهم
 فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى
 لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم . . » الى غير
 ذلك من الآيات الكثيره البارعة فى هذه الأغراض نفسها وفى غيرها
 من الآداب العامة وشئون الاجتماع .
 « وهكذا اتصل الاخوان بكتاب الله واستلهموه واسترشدوه

فأيقنوا ان الاسلام هو هذا المعنى الكلى الشامل وأنه يجب ان يهيمن على كل شئون الحياة وان تصطبغ جميعها به وان تنزل على حكمه وان تسير قواعده وتعاليمه وتستمد منه مادامت الأمة تريد ان تكون مسلمة اسلاما صحيحا اما اذا أسلمت في عبادتها وقلدت غير المسلمين في بقية شئون حياتها فهي امة ناقصة الاسلام تضاهى الذين قال الله فيهم « افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون » .

وفى المؤتمر السادس الذى عقد فى يناير ١٩٤١ تحدث الامام البنا تحت عنوان : « فهم » فقال :

- « اذكروا جيدا ايها الاخوان ان الله قد منّ عليكم ففهمتم الاسلام فهما نقياً صافياً سهلاً شاملاً كافياً وافياً يساعد العصور ويفى بحاجات الأمم ويجلب السعادة للناس بعيد عن جمود الجاهدين وتحلل الاباحيين وتعقيد المتفلسفين لاغلو فيه ولا تفريط مستمداً من كتاب الله وسنة رسوله وسيرة السلف الصالح استمداداً ! منطقياً منصفاً بقلب المؤمن الصادق وعقل الرياضى الدقيق وعرفتموه على وجهه : عقيدة وعبادة ، ووطن وجنسية وخلق ومادة وسماحة وقوة وثقافة وقانون واعتقدتموه على حقيقته : دين ودولة ، وحكومة وأمة ومصحف وسيف وخلافة من الله للمسلمين فى امم الارض اجمعين : » وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس، ويقول ايضا فى نفس المؤتمر .

- « لقد جاء الاسلام نظاما واماماً ديناً ودولة تشريعاً وتنفيذاً فبقى النظام وزال الامام واستمر الدين وضاعت الدولة وازدهر التشريع وذوى التنفيذ اليس هذا هو الواقع ايها الاخوان والا فأين الحكم بما انزل الله فى الدماء والأموال والأعراض ؟ والله تبارك وتعالى يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم « وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيراً من الناس لفاسقون » .

* وفى مؤتمر طلبة الاخوان الذى عقد فى المحرم ١٣٥٧ هـ يقول الامام البنا تحت عنوانه : « الاسلام الشامل » :
- « أنا اعلن ايها الاخوان من فوق هذا المنبر بكل صراحة ووضوح وقوة ان الاسلام شئى غير هذا المعنى الذى اراد خصومه والاعداء من ابنائه أن يحصروه فيه ويقيدوه به وان الاسلام عقيدة وعبادة ووطن وجنسية وسماحة وقوة وخلق ومادة وثقافة وقانون وفى رسالة « مشكلاتنا فى ضوء النظام الاسلامى » كتب الامام البنا يقول :

« الاسلام . . دين ومجتمع ، ومسجد ودولة ودنيا وآخرة وأنه يعرض لشئون الحياة الدنيوية العملية بأكثر مما تعرض به للأعمال التعبدية وان كان قد اقام الشطرين معا على دعامة من سلامة القلب وحياة الوجدان ومراقبة الله وطهر النفس فالدين على هذا جزء من نظام الاسلام والاسلام ينظمه كما ينظم الدنيا تماماً ونحن كمسلمين مطالبون بأن يقوم ديننا ودنيانا

على اساس القواعد الاسلامية (ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون) .

★ وفي رسالة « التعاليم » التي تعد من أهم الرسائل واشملها وادقها لفكر الامام البنا يتحدث فيها عن : أركان البيعة العشرة التي كان يبائع اعضاء الجماعة عليها جعل الامام البنا الركن الأول من هذه الأركان هو : « الفهم » وجعل هذا الفهم يقوم على أصول عشرين محددة أولها :

« الاسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعا فهو دولة ووطن ، أو حكومة وأمة او هو خلق وقوة ورحمة وعدالة وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء وهو مادة وثروة او كسب وغنى وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء » .

هذا هو جوهر مفهوم الاسلام عند الامام حسن البنا ، وهذا هو حجر الزاوية الذى اقام على اساسه دعوته واسس جماعته وقاد حركته وربى الجيل الذى هز به الأرض من تحت اقدام الطواغيت صغارا وكبارا ومن منطلق هذا الفهم الواضح ومن خلال هذه الرؤية الشاملة التى رآها الامام البنا « للاسلام » نظر الامام البنا الى كل قضايا أمته وحدد معالمها وجعل الحل الوحيد والأكيد هو « نظام الاسلام » . . . وبهذا الفهم الصحيح كان الامام البنا وحركته التجديديه الشمولية هو الذى تصدى لعملية الغزو الأوربى الصليبي للامة الاسلامية فى شتى المجالات : المجال الفكرى . . والمجال السياسى والمجال الاجتماعى والمجال الاقتصادى والمجال العسكرى .

السياسة .. فى فكر الامام البنا

يحدد الامام البنا مفهوم السياسة .. فيقول :
 - « وانا حين اتكلم عن السياسة .. فانما أريد السياسة
 المطلقة وهى النظر فى شئون الأمة الداخلية والخارجية غير
 مقيدة بالحزبية بحال .. »

ثم يقول :

- « بعد هذا التحديد العام لمعنى الاسلام الشامل ولمعنى
 السياسة المجردة استطيع ان اجهر فى صراحة بأن المسلم
 لن يتم اسلامه الا اذا كان سياسيا بعيد النظر فى شئون أمته
 مهتما غيورا عليها ويبين الامام حسن البنا السبب فى انه قلما
 تجد انسانا يتحدث اليك عن السياسة والاسلام الا وجدته يفصل
 بينهما فصلا ويضع كل واحد من المعنيين فى جانب فيقول :
 - « ان غير المسلمين حينما جهلوا هذا الاسلام ، أو حينما ادركوا
 أمره وثباته فى النفوس ورسوخه فى قلوب المؤمنين به واستعداد كل
 مسلم لتفديته بالنفس والمال لم يحاولوا ان يجرحوا فى نفوس
 المسلمين اسم الاسلام ولا مظاهره وشكلياته ، ولكنهم حاولوا ان
 يحصروا معناه فى دائرة ضيقة تذهب بكل ما فيه من نواح قوية
 علمية وان تركت للمسلمين بعد ذلك قشور من الالقاب والأشكال
 والمظهريات لاتسمن ولا تغنى من جوع .. فأفهموا المسلمين ان
 الاسلام شئ والاجتماع شئ آخر وان الاسلام شئ والقانون
 شئ غيره وان الاسلام شئ ومسائل الاقتصاد لاتتصل به وان

الاسلام شئى والثقافة العامة سواء وان الاسلام شئى يجب ان يكون بعيدا عن السياسة . ثم يتساءل الامام البنا مستنكرا هذا الفهم القاصر للاسلام .

فيقول :

« فحدثونى بربكم أيها الاخوان ، اذا كان الاسلام شيئا غير السياسة وغير الاجتماع ، وغير الاقتصاد وغير الثقافة فما هو اذن ؟ . أهو هذه الركعات الخالية من القلب الحاضر ، ام هذه الألفاظ التى هى كما تقول رابعة العدوية استغفار يحتاج الى استغفار ، لهذا أيها الاخوان نزل القرآن نظاما كاملا محكما مفصلا «تبياننا لكل شئى وهدى ورحمة لقوم يؤمنون» ؟

ومن هذا المنطلق يستنكر الامام حسن البنا على الجمعيات الاسلامية التى تضع فى مناهجها انها لاتعرض للشئون السياسية ويقول :

- « ان على كل جمعية اسلامية ان تضع فى رأس برنامجها الاهتمام بشئون امتها السياسية والا كانت تحتاج هى نفسها الى ان تفهم معنى الاسلام » .

وبناء على هذا الفهم يقرر الامام البنا « ان الاخوان ماكانوا يوما من الايام غير سياسيين ولن يكونوا يوما من الأيام غير مسلمين و مافرقت دعوتهم ابدا بين السياسة والدين ولن يراهم الناس فى ساعة من نهار حزبيين » .

ويقرر نفس المعنى فى مكان آخر فيقول :

- « اننا سياسيون بمعنى انناهم بشئون أمتنا و نعتقد ان

القوة التنفيذية جزء من تعاليم الاسلام تدخل فى نطاقه وتندرج تحت احكام ، وان الحرية السياسية والعزة القومية ركن من اركانه وفريضة من فرائضه واننا نعمل جاهدين لاستكمال الحرية ولاصلاح الأداة التنفيذية كذلك ونعتقد اننا لم نأت فيه بشئ جديد فهذا هو المعروف عند كل مسلم درس الاسلام دراسة صحيحة ونحن لانعلم دعوتنا ولا نتصور معنى لوجودنا الا تحقيق هذه الاهداف ولم تخرج بذلك قيد شعرة عن الدعوة الى الاسلام ، والاسلام لا يكتفى من المسلم بالوعظ والارشاد ولكنه يحدوه دائما الى الكفاح والجهاد (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين .

ويزيد الامام البنا الموضوع وضوحا فيسترسل فى شرح مفهوم السياسة تفصيلا فيقول :

- ان كان يراد بالسياسة معناها الداخلى من حيث تنظيم امر الحكومة وبيان مهماتها وتفصيل حقوقها وواجباتها ومراقبة الحاكمين والاشراف عليهم ليطاعوا اذا احسنوا وينقذوا اذا اساءوا . فالاسلام قد عنى بهذه الناحية ووضع لها القواعد والأصول وفصل حقوق الحاكم والمحكوم وبين مواقف الظالم والمظلوم ووضع لكل حدا لا يعده ولا يتجاوزه .

فالدساتير والقوانين المدنية والجنائية بفروعها المختلفة عرض لها الاسلام ، ووضع نفسه منها بالموضع الذى يجعله اول مصادرها وأقدس منابعها وهو حين فعل هذا انما وضع الأصول الكلية والقواعد العامة والمقاصد الجامعة وفرض على الناس تحقيقها وترك لهم

الجزئيات والتفاصيل يطبقونها بحسب ظروفهم وعصورهم
ويجتهدون في ذلك ماوسعتهم المصلحة وواتاهم الاجتهاد .
وقد قرر الاسلام سلطة الأمة واكدها واوصى بأن يكون كل
مسلم مشرفا تمام الاشراف على تصرفات حكومته يقدم لها النصح
والمعونه ويناقشها الحساب وهو كما فرض على الحاكم ان
يعمل لمصلحة المحكومين باحقاق الحق وابطال الباطل فرض
على المحكومين كذلك ان يسمعوا ويطيعوا للحاكم ماكان كذلك
فاذا انحرف فقد وجب عليهم ان يقوموه على الحق ويلزموه
حدود القانون ويعيدوه الى نصاب العدالة ، هذه تعاليم كلها من
كتاب الله تبارك وتعالى ومن احاديث رسوله صلى الله عليه وسلم
لم نتقولها ولم نخترعها . فالله تبارك وتعالى يقول « وانزلنا اليك
الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمننا عليه
فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق لكل
جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ، ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن
ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم
بما كنتم فيه تختلفون وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم
واحدهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما
يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون ،
افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون » .
ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في تقرير سلطة الأمة
وتقرير الرأى العام فيها : الدين النصحية . قالوا : لمن يارسول
الله ؟ قال : الله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم ، ويقول

أيضا : « ان من افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » .
ويقول كذلك « سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام
الى امام جائر فامر به ونهاه فقتله » . والى مئات الاحاديث
التي تفصل هذا المعنى وتوضحه وتوجب على المسلمين ان يأمروا
بالمعروف وان ينهوا عن المنكر وان يراقبوا حكامهم ويشرفوا
على مبلغ احترامهم للحق وانفاذهم لأحكام الله .
ثم يتساءل الامام البنا مستنكرا القول بفصل السياسة عن الدين
فيقول :

- « فهل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يأمر بهذا
التدخل او الاشراف او التناصح او سمه ماشئت وحين يحض عليه
ويبين انه الدين وانه الجهاد الأكبر وان جزاءه الشهادة العظمى .
يخالف تعاليم الاسلام فيخلط السياسة بالدين ؟ ام ان هذه هي طبيعة
تعاليم الاسلام الذي بعث الله به نبيه صلى الله عليه وسلم واننا في
الوقت الذي نعدل فيه بالاسلام عن هذا المعنى نصور لأنفسنا اسلاما
خاصا غير الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من ربه .
وبعد أن يدلل الامام حسن البنا عن المفهوم الصحيح للاسلام
كنظام شامل للحياة بنصوص من القرآن والسنة الصحيحة يقدم دليلا
ثالثا على صحة هذا الفهم من تاريخ السلف الصالح رضوان الله
عليهم فيقول :-

- « لقد تقرر هذا المعنى الفسيح للاسلام الصحيح في نفوس
السلف الصالح لهذه الأمة وخالط ارواحهم وعقولهم وظهر في كل
ادوار حياتهم الاستقلالية قبل ظهور هذا الاسلام الاستعماري الخانع

الذليل . .

« ومن هنا . . . كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلمون فى نظم الحكم ويجاهدون فى مناصرة الحق ويحتملون عبء سياسة الأمة ويظهرون على الصفة التى وصفوا انفسهم بها » رهبان بالليل فرسان بالنهار « وكانت ام المؤمنين عائشة الصديقة تخاطب الناس فى دقائق وتصور لهم مواقف الحكومات فى بيان رائع وحجة قوية ، ومن هنا كانت الكتيبة التى شقت عصا الطاعة على الحجاج وحاربه وانكرت عليه بقيادة ابن الاشعث تسمى كتيبة الفقهاء اذ كان فيها سعيد بن جبير وعامر الشعبى واضرابهما من فقاء التابعين وجلة علمائهم . ومن هنا رأينا من مواقف الأئمة رضوان الله عليهم فى مناصحة الملوك ومواجهة الامراء والحكام بالحق ما يضيّق بذكر بعضه فضلا عن كله المقام .
ودليل رابع يقدمه لنا الامام حسن البنا على شمول الاسلام وهيمنة نظامه على كل نواحي الحياة من واقع كتب الفقه الاسلامى قديما وحديثا فيقول :-

« ومن هنا كذلك كانت كتب الفقه الاسلامى قديما وحديثا فياضة بأحكام الامارة والقضاء والشهادة والدعاوى والبيوع والمعاملات والحدود والتعزيرات وذلك لأن الاسلام احكامه عمليه وروحية ان قررتها السلطة التشريعية فانما تقوم على حراستها وانقاذاها السلطة التنفيذية والقضائية ولا قيمة لقول الخطيب كل جمعة على المنبر (انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) فى الوقت الذى يجيز

فيه القانون السكر وتحمى الشرطة السكيرين وتقودهم الى بيوتهم آمنين مطمئنين ولهذا كانت تعاليم القرآن لا تنفك عن سطوة السلطان ولهذا كانت السياسة الحكومية جزءا من الدين وكان من واجبات المسلم ان يعنى بعلاج الناحية الحكومية كما يعنى بعلاج الناحية الروحية .
ثم يحدثنا الامام البنا عن موقف الاسلام من « السياسة الخارجية » فيقول :

« فان اريد بالسياسة معناها الخارجى وهو المحافظة على استقلال الأمة وحريتها واشعارها كرامتها وعزتها والسير بها الى الاهداف المجيده التى تحتل بها مكانتها بين الأمم ومنزلتها الكريمة فى الشعوب والدول وتخلصها من استبداد غيرها بها وتدخله فى شئونها مع تحديد الصلة بينها وبين سواها تحديدا يفصل حقوقها جميعا ويوجه الدول كلها الى السلام العالمى العام وهو مايسمونه (القانون الدولى) فان الاسلام قد عنى بذلك كل العناية وأفتى بوضوح وجلاء والزم المسلمين ان يأخذوا بهذه الأحكام فى السلم والحرب على السواء ومن قصر فى ذلك وأهمله فقد جهل الاسلام او خرج منه .

قرر الاسلام سيادة الأمة الاسلامية واستاذايتها للأمم فى آيات كثيرة من القرآن منها « كنتم خیر امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ، وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ، « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » . وأكد قوامتها وارشدها الى

طريق صيانتها والى ضرر تدخل غيرها فى شئونها بمثل قوله تعالى :
 «يا ايها الذين امنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا
 ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وماتخفى صدورهم اكبر
 قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون ها أنتم أولاء تحبونهم
 ولا يحبونكم » . وأشار الى مضار الاستعمار وسوء اثره فى الشعوب
 فقال تبارك وتعالى « ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا
 اعزة أهلها اذلة وكذلك يفعلون » ثم اوجب على الأمة
 المحافظة على هذه السيادة وامرها باعداد العدة واستكمال القوة
 حتى يسير الحق محفوفًا بجلال السلطة كما هو مشرق بأنوار
 الهداية (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) .

« ومن هنا رأينا اخلاء المسجد وانضاء العبادة وحفظه الكتاب
 الكريم بل وابناء الربط والزوايا من السلف رضوان الله عليهم لا يقتعون
 باستقلال بلادهم ولا بعزة قومهم ولا بتحرير شعوبهم ولكنهم ينسابون
 فى الارض ويسيحون فى آفاق البلاد فاتحين معلمين يحررون
 الأمم كما تحرروا ويهدونها بنور الله الذى اهدوا به ويرشدونها
 الى سعادة الدنيا والآخرة لا يعلون ولا يقدررون ولا يظلمون ولا يعتدون
 ولا يستعبدون الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا .

ومن هنا رأينا عقبة بن نافع يخوض الأطلس بلبنة جواده ،

قائلا :

- اللهم لو علمت وراء هذا البحر ارضا لمضيت فى البلاد مجاهدا
 فى سبيلك فى الوقت الذى يكون فيه ابناء العباس الاشقاء قد
 دفن احدهم بالطائف الى جوار مكة والثانى بأرض الترك من اقصى

الشرق والثالث بافريقيا من اقصى المغرب جهادا فى سبيل الله
وابتغاء المرضاته . وهكذا فهم الصحابه والتابعون لهم باحسان ان
السياسة الخارجية من صميم الاسلام .

ونختم الحديث عن السياسة . . وموقف الاسلام منها فى رأى
الامام حسن البنا بقوله :

- « فمن ظن ان الدين - او بعبارة اخرى الاسلام - لا يعرض
للسياسة او ان السياسة ليست من مباحثه فقد ظلم نفسه وظلم
علمه بهذا الاسلام ولا اقول ظلم الاسلام فان الاسلام شريعة الله
لاياتيه الباطل من بين يديه . ولا من خلفه وجميل قول الامام الغزالي
رضى الله عنه (اعلم ان الشريعة أصل والملك حارس
ومالا اصل له فمهذوم ومالا حارس له فضائع » فلاتقوم الدولة
الاسلامية الا على اساس الدعوة حتى تكون دولة رسالة
لاتشكل ادارة ولاحكومة مادة جامدة صماء لاروح فيها كما
لاتقوم الدعوة الا فى حماية تحفظها وتنشرها وتبلغها وتقويها » .
الدولة فى فكر حسن البنا

كان لحادث سقوط دولة الخلافة فى مارس ١٩٢٤ على يد
مصطفى كمال أتاتورك وتنفيذ مؤامرة فصل الدين عن الدولة ،
والغاء الدين كلية لتصبح تركيا دولة لا دينية وماتلا ذلك من
أحداث زلزلت الأمة الاسلامية فى كل أقطار العالم الاسلامى ، رد
فعل عنيف فى نفس الشباب حسن البنا ، وزاد من شدة ألمه
الهجمة الفكرية الصليبية والعلمانية التى اجتاحت الحياة
الفكرية والثقافية فى مصر عقب هذا الحادث الجلل - سقوط

الخلافة - وبلغت هذه الهجمة ذروتها . بظهور عدد من الكتب ، كان من أخطرها كتاب في الشعر الجاهلي للدكتور طه حسين الذي شكك فيه في القرآن ورد مفتريات المستشرقين ضد الاسلام ونبي الاسلام ، وكتاب الاسلام وأصول الحكم للشيخ على عبدالرزاق الذي انتهى فيه الى اقرار ، فصل الدين عن الدولة » وتفريغ الاسلام من نظام الحكم وحصره في هذا المفهوم اللاهوتي الضيق للدين كما يعرفه الغربيون . كان لهذا كله أثره في تكوين فكر الامام البنا واستنهاض همته في رد هذه المفتريات وكشف زيفها وبيان وجه الحق فيها ومن هنا كانت المساحة الكبيرة التي أفسحها الامام البنا في رسائله وخطاباته وكتاباته لتصحيح هذه الأغلوطات وتوضيح هذا الفهم الصحيح للاسلام وشموليته كنظام حياة يهيمن على حياة الأمة ويفتى في كل أمر من أمورها . . . ومن منطلق هذا الفهم الصحيح أعطى الامام البنا أهمية كبيرة لبيان مكانة الدولة في الاسلام . يقول الامام البنا :

الاسلام الذي يؤمن به الاخوان يجعل الحكومة ركنا من أركانه ويعتمد على التنفيذ كما يعتمد على الارشاد وقديما قال الخليفة الثالث « ان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » ، وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الحكم عروة من عرى الاسلام والحكم معدود في كتبنا الفقهية من العقائد والأصول كما هو تشريع وتعليم كما هو قانون وقضاء لا ينفك أحدهما عن الآخر ، فالمصلح الاسلامي ، أن يكون فقيها مرشدا يقرر الأحكام ويرتل

التعاليم ويسرد الفروع والأصول وترك أهل التنفيذ يشعرون
للأمة ما لم يأذن به الله ويحملوها بالقوة التنفيذية على
مخالفة أوامره فان النتيجة الطبيعية أن صوت هذا
المصلح سيكون صرخة في واد ونفخة في رماد كما يقولون.
ويقول أيضا :

يفترض الاسلام الحنيف الحكومة قاعدة من قواعد النظام
الاجتماعى الذى جاء به للناس فهو لا يقر الفوضى ولا يدع
الجماعة المسلمة بغير الامام ولقد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لبعض أصحابه اذا نزلت ببلد ليس فيه سلطان
فارحل عنه ، كما قال فى حديث آخر لبعض اصحابه « اذا
كنتم ثلاثة فأمروا عليكم رجلا .. » .

ويعتبر الامام البنا قعود المصلحين الاسلاميين عن المطالبة
بالحكم جريمة .. فيقول :

قد يكون مفهوما أن يقنع المصلحون الاسلاميون برتبة الوعظ
والارشاد واذا وجدوا من أهل التنفيذ اصغاء الأوامر الله
وتنفيذا لأحكامه وايصالا لآياته وأحاديث نبيه صلى الله عليه
وسلم ، أما والحال كما نرى والتشريع الاسلامى فى واد والتشريع
الفعلى والتنفيذى فى واد آخر فان قعود المصلحين
الاسلاميين عن المطالبة بالحكم جريمة اسلامية لا
يكفرها الا النهوض واستخلاص قوة التنفيذ من أيدي الذين
لا يدينون بأحكام الاسلام الحنيف ..

ويرى الامام البنا أن « الحكومة ولا شك هى قلب الاصلاح

الاجتماعى كله فاذا فسدت أوضاعها فسد الأمر كله واذا صلحت صلح الأمر كله . . . ويجعل الامام البنا اقامة دولة اسلامية فى مصر هدفا من هدفين اثنين اساسيين لجماعته فيقول :

« . . اذكروا دائما أن لكم هدفين اساسيين :

- (١) أن يتحرر الوطن الاسلامى من كل سلطان اجنبى وذلك حق طبيعى لكل انسان لا ينكره الا ظالم جائر أو مستبد قاهر .
- (٢) أن تقوم فى هذا الوطن الحر دولة اسلامية حرة تعمل بأحكام الاسلام وتطبق نظامه الاجتماعى تعلن مبادئه القويمة وتبلغ دعوته الحكيمة الناس .

وما لم تقم هذه الدولة فان المسلمين جميعا آثمون مسئولون بين يدى الله العلى الكبير عن تقصيرهم فى اقامتها وقعودهم عن ايجادها . ومن العقوق للانسانية فى هذه الظروف الحائرة أن تقوم فيها دولة تهتف بالمبادئ الظالمة وتنادى بالدعوات الغاشمة ولا يكون فى الناس من يعمل لتقوم دولة الحق والعدل والسلام . .

فالدولة فى فكر الامام البنا لها وظيفة أساسية : احتضان دعوة الاسلام وتجميع كلمة المسلمين ونشر كلمة الله وتبليغ رسالته حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله . يقول : « لو كانت لنا حكومة اسلامية صحيحة الاسلام صادقة الايمان مستقلة التفكير تعلم حق العلم عظمة الكنز الذى بين يديها وجلال النظام الاسلامى الذى ورثته وتؤمن بأن فيه شفاء شعبها وهداية الناس جميعا

لكان لنا أن نطلب اليها أن تدعو الدنيا باسم الاسلام . . ويستنكر الامام البنا ,, ان تجد الشيوعية دولة تهتف بها وتدعو اليها وتنفق فى سبيلها وتحمل الناس عليها ، وأن تجد الفاشية والنازية امما تقدسها وتجاهد لها وتعزز باتباعها وتخضع كل النظم الحيوية لتعاليمها ، وان تجد المذاهب الاجتماعية والسياسية المختلفة انصارا أقوياء يقفون عليها ارواحهم وعقولهم وأفكارهم واقلامهم واموالهم وصحفهم وجهودهم ويحيون لها ويموتون لها ، ولا نجد حكومة اسلامية تقوم بواجب الدعوة الى الاسلام الذى جمع محاسن هذه النظم جميعا وطرح مساوئها وتقدم لغيرها من الشعوب كنظام عالمى فيه الحل الصحيح الواضح المريح لكل مشكلات البشرية مع أن الاسلام جعل الدعوة فريضة لازمة وأوجبها على المسلمين شعوبا وجماعات قبل أن تخلق هذه النظم وقبل أن يعرف فيها نظام الدعات .

وفى رسالة ,, الاخوان المسلمون تحت راية القرآن ,, يتحدث الامام البنا عن مهمة جماعته فيقول : ,, ما مهمتنا ؟ اما اجمالا : فهى أن نقف فى وجه هذه الموجة الطاغية من مدنية المادة وحضارة المتع والشهوات التى حرقت الشعوب الاسلامية فأبعدتها عن زعامة النبى صلى عليه وسلم وهداية القرآن وحرمت العالم من أنوار هديها وأخرت تقدمه مئات السنين حتى تنحسر عن أرضنا ويبرأ من بلائها قومنا ، ولسنا واقفين عند هذا الحد بل سنلاحقها فى أرضها وسنغزوها فى عقر دارها حتى يهتف العالم كله باسم النبى صلى الله عليه وسلم وتوقن الدنيا كلها بتعاليم

القرآن وينتشر ظل الاسلام الوارف على الأرض وحينئذ يتحقق للمسلم ما ينشده فلا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، وأما تفصيلا . . فهي أن يكون في مصر أولا بحكم أنها في المقدمة من دول الاسلام وشعوبه ثم في غيرها كذلك نظام داخلي للحكم يتحقق به قول الله تعالى (وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهوائهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله .

- ونظام للعلاقات الدولية يتحقق به قول القرآن الكريم :
(وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)

- ونظام عملي للقضاء يستمد من الآية الكريمة (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)

- ونظام للدفاع والجنديية يحقق مرمى النفير العام (انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيل الله)

- ونظام اقتصادى استقلالى للثروة والمال والدولة والافراد اساسه قول الله تعالى (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما)

- ونظام الثقافة والتعليم يقضى على الجهالة والظلام ويطابق جلال الوحي في أول آية من كتاب الله (اقرأ باسم ربك الذى خلق)
- ونظام للأسرة والبيت ينشئ الصبى المسلم والفتاة المسلمة والرجل المسلم ويحقق قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة)

- ونظام للفرد فى سلوكه الخاص يحقق الفلاح المقصود بقوله
تعالى (قد أفلح من زكاها)

- ورح عام يهيم على كل فرد فى الأمة من حاكم أو محكوم
كما فى قول الله تعالى : (وابتغ فيما اتاك الله الدار الآخرة ولا تنس
نصيبيك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى
الأرض)

نحن نريد الفرد المسلم . . . والبيت المسلم . . . والشعب المسلم . .
والحكومة المسلمة والدولة المسلمة التى تقود الدول
الاسلامية وتضم شتات المسلمين وتستعيد مجدهم وترد عليهم
أرضهم المفقودة و أوطانهم المسلوبة وبلادهم المغلوبة ثم تحمل
علم الجهاد ولواء الدعوة الى الله حتى تسعد العالم بتعاليم الاسلام ،،
هذه هى المكانة التى وضع فيها الامام البنا . . . » الدولة «
وهذه هى الوظيفة التى تطلع بها فمن طبيعة الاسلام أن تكون له
دولة لأنه لا قيام للاسلام بغير الدولة لأن كل أمر فى القرآن وفى
السنة يقتضى تنفيذه قيام حكم اسلامى ودولة اسلامية لأن تنفيذه
كما يجب غير مأمون الا فى ظل حكم اسلامى خالص ودولة
اسلامية تقوم على أمر الله وقيام الاسلام نفسه فى الحدود التى
رسمها الله وبينها الرسول صلى الله عليه وسلم يقتضى قيام دولة
اسلامية تقيم الاسلام فى حدوده المرسومة وذلك منطلق لا يجحده
الا مكابر اذ أن الاسلام لا يمكن أن يقوم على وجهه الصحيح فى
ظل دولة غير اسلامية لا يهيمها أن يقام ولا يضرها أن ينتقص منه
ولا يمنعها شى من تعطيله أو الانحراف به وانما يقوم الاسلام

على وجهه الصحيح فى ظل دولة تقوم على مبادئ الاسلام وتنفيذ حدوده .

وأكثر ما جاء به الاسلام لا يدخل تنفيذه فى اختصاص الافراد وانما هو من اختصاص الحكومات وهذا وحده يقطع بأن الحكم من طبيعة الاسلام ومقتضياته وان الاسلام دين ودولة .

وقد جعل الامام حسن البنا « اقامة الدولة الاسلامية » التى تقيم النظام الاسلامى فى كل مجال من مجالات الحيات الهدف الأكبر لجماعة (الاخوان المسلمون) ووضع البرامج والخطط لتحقيق هذا الهدف مستلهما القرآن الكريم ، ومستهديا سيرة الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه ومسترشدا بتاريخ السلف الصالح لهذه الأمة ومدركا تمام الادراك متغيرات العصر وظروف الحياة . .

وتبعه فى ذلك خليفته الامام الممتحن الأستاذ حسن الهضيبى الذى قال كلمته المندوية فى آذان الاخوان : « اقيموا دولة القرآن فى قلوبكم تقم فى أرضكم » . ولا يزال مسيرة الاخوان على ذات الدرب فى كل مكان فيه « اخوان مسلمون » .

